سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: {١١} **أمور تنافي التوحيد (٣) الاستسقاء بالنجوم، إضافة النعم إلى غير الله، تسمية غير الله**

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بالضالع

٢٦/ربيع الآخر/١٤٤٥هجرية

سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: {١١} **أمور تنافي التوحيد (٣) الاستسقاء بالنجوم، إضافة النعم إلى غير الله، تسمية غير الله**

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بالضالع

٢٦/ربيع الآخر/١٤٤٥هجرية

محفوظة جميع الحقوق

اسم الكتاب: سلسلة خطب التوحيد
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٥هـ
الطبعة: (الأولى)
دار الحديث السلفية - الضالع - اليمن

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

سلسلة خطب التوحيد

أمور تنافي التوحيد٣

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس، كان مما مضى الحديث عنه ذكرُ بعض الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالى، سواء ما كان منها ينافيه منافاة كلية ويجعل العبد خارجاً عن الإسلام، أو ما كان ينافيه منافاة جزئية بأن يكون قد وقع في الشرك الأصغر، أو أن يكون قد خالف كمال التوحيد الواجب الذي أمر الله سبحانه ورسول ﷺ به.

عباد الله، وإن من الأمور المنافية لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ والتي كان عليها أهل الجاهلية:

الاستسقاء بالنجوم، الذي أخبر عنه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه الإمام مسلم(٩٣٤ -٢٩-) أن نبينا ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ**: -وذكر منها- **وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ**». فالاستسقاء بالنجوم أي طلب السقيا منها، طلب المطر من النجوم، أو إضافة نزول المطر ونسبته إلىٰ هذه النجوم، كما أخبر عنه نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الأحاديث، وفسَّر ذلك بأنه إضافة نزول المطر إلىٰ هذه النجوم، قال زيد بن خالد الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما في الصحيحين: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ -أي علىٰ إثر مطر، والمطر يسمىٰ سماء لأنه نازل منها-، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ. فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا** -أي بنجم كذا وكذا-، **فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»[(١)].

وجاء في صحيح مسلم(٧٣ -١٢٧-) عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا**

(١) البخاري(٨٤٦)، ومسلم(٧١ -١٢٥-).

وَكَذَا». قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}، حَتَّىٰ بَلَغَ {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}.

فنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فسَّر ذلك بإضافة نزول المطر إلىٰ هذه النجوم كما كان يعتقده الجاهلية، وكله من الشرك بالله، فالاستسقاء بمعنىٰ طلب السقيا طلب المطر من النجوم هذا شرك أكبر في ألوهية الله -جل وعلا.

وإضافة المطر إلىٰ هذه النجوم، كما كان أهل الجاهلية يعتقدون أن هذه النجوم هي التي تنزل المطر، من الشرك بالله، فإذا أضاف نزول المطر إلىٰ النجم إلىٰ الأنواء واعتقد أنه فاعل ومُؤثِّر في ذلك كان هذا شركًا أكبر في الربوبية؛ لأن إنزال المطر من خصائص الله -جل وعلا- لا يقدر علىٰ إنزال المطر إلا الله، فإضافة ذلك إلىٰ النجوم شرك بالله -جل وعلا-.

وإذا اعتقد أن الله هو المنزِّل للمطر وهو الفاعل لذلك، ولكن اعتقد أن ظهور هذا النجم أو سقوط هذا النجم سبب في ذلك، فهذا شرك أصغر؛ لأن الله تعالىٰ لم يجعل هذه النجوم سببًا في نزول المطر.

بل اختار بعض العلماء أنه يَحرُم هذا اللفظ مطلقًا، وإن كان يعتقد أن الله تعالىٰ هو الفاعل، وأن هذه النجوم ليست سببًا، وإنما يتكلم بهذا اللفظ ويقول: (مطرنا بنجم كذا وكذا) علىٰ سبيل العادة، أي أن العادة جرت أن هذا النجم إذا وُجد نزل المطر، فكرهوا هذا اللفظ: (مطرنا بنجم كذا)، من أهل العلم من كرهه ومنهم من حرَّمه، لما فيه من مشابهة المشركين ولما فيه من نسبة النعمة إلىٰ غير الله، وإن لم يعتقد ما يعتقده الكفار.

فإذاً، هذا الأمر وهو نسبة نزول المطر إلىٰ النجوم مما نهىٰ عنه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأخبر أنه ينافي التوحيد وأنه من أمر الجاهلية.

أيضاً من الأمور التي تنافي التوحيد وهو متعلق بالذي قبله لكنه أعم منه:

نسبة النعم وإضافتها مطلقاً إلىٰ غير الله، فالله -جل وعلا- هو المنعم، والله -جل وعلا- هو المتفضل، فنسبة النعم وإضافتها إلىٰ غير الله سبحانه ينافي ذلك، ولذا جاء في الحديث المتقدم حديث زيد بن خالد وحديث ابن عباس إنكار الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ من أضاف نعمة نزول المطر إلىٰ النجوم، وأنزل الله سبحانه وتعالىٰ في ذلك: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الواقعة:٨٢]، فسر أهل العلم هذه الآية ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [سورة الواقعة:٨٢] أي شكركم للنعمة، تجعلون حظَّكم من الشكر أنكم تكذبون بنعم الله، وتكذيبهم بنعم الله ليس بمعنىٰ إنكارها بل بمعنىٰ نسبتها وإضافتها إلىٰ غير الله، كما قال الله سبحانه: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النحل:٨٣]، يعرفون نعمة الله أي يقرون بها وأن الله تعالىٰ هو المنعم، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ ومعنىٰ قوله: ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ أي بنسبتها إلىٰ غير الله وإضافتها إلىٰ غير الله، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

فالواجب علىٰ العبد أن يضيف نعم الله إلىٰ الله -جل وعلا-، الله تعالىٰ أنكر في كتابه الكريم وذمَّ من أضاف النعم إلىٰ غيره.

قال الله تعالىٰ عن قارون الذي أهلكه الله تعالىٰ أنه لما ذُكِّر بالنعمة قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [سورة القصص:٧٨]، هذا المال وهذا الرزق الكثير أوتيته بذكائي وخبرتي ومعرفتي بأسباب الرزق، فأنكر إضافة النعمة إلىٰ الله -جل وعلا- فأهلكه الله وماله، وسلبه ذلك المال.

أخبرنا نبينا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن ثلاثة من بني إسرائيل كما في الصحيحين عن هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ «**أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَىٰ**»، أبرص في جلده، وأقرع في شعره ليس له شعر، وأعمىٰ، أزال الله تعالىٰ عنهم هذه العيوب، وأعطاهم المال الكثير وكانوا فقراء، أعطىٰ الأبرص مالاً من الإبل كثيراً، وأعطىٰ الأقرع من البقر، وأعطىٰ الأعمىٰ من الغنم، لكنهم لم يضيفوا النعمة إلىٰ الله، ولذا لما أتىٰ الأبرصَ رجلٌ يسأله وقال له: «**رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَعْطِنِي بَعِيرًا أتبلَّغ به في سَفَرِي**»، وله وادٍ من الإبل، «**قال: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ اذْهَبْ إِلَىٰ غَيْرِي**»، فقال له: «**أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟**»، ذكّره بنعمة الله عليه، وهو ملَك في صورة رجل، «**فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ**». هذا المال جاءني أبًّا عن جد، لم أعرف الفقر ولم أكن يوماً فقيراً، نسي نعمة الله، قال له: «**إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ**». فدعا عليه أن يرده الله إلىٰ الحال التي كان عليها، وأتىٰ الأقرع قال له مثل ذلك، فرد عليه بمثل هذا الرد، وأتىٰ الأعمىٰ فقال له مثل ذلك، قال: «**قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا**

أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، -هذا ابتلاء واختبار- **فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ»**[1].

رضي الله عنك بشكرك للنعمة ونسبتها إلىٰ الله -جل وعلا-، وسخط علىٰ صاحبيك اللذَينِ لم يضيفا النعمة إلىٰ الله سبحانه، فسخط الله عليهم وذهب مالهم فإنه شرط مُعلَّق بشيء فيقع الجواب بوقوع شرطه؛ والشرط هنا واقع وهو: (إن كنت كاذبًا) وهو فِعلا كاذب، (صيَّرك الله إلىٰ ما كنت)، ردك الله إلىٰ الحال التي كنت عليها.

فالواجب إضافة النعم إلىٰ الله سبحانه، وكم يتساهل الناس في ذلك في كثير من النعم سواء في المال يضيفه إلىٰ ذكائه أو إلىٰ معرفة العامل الذي معه، أو إلىٰ فطنته وخبرته، يضيف النصر علىٰ الأعداء إلىٰ أسباب مادية، انتصرنا بقوتنا أو بخبرتنا أو بشجاعتنا، أو يضيف الشفاء إلىٰ غير الله تعالىٰ إما إلىٰ طبيب وإما إلىٰ دواء، أو يضيف الرزق إلىٰ غير الله سبحانه وتعالىٰ، إلىٰ شيء من الأسباب التي قد لا تكون صحيحة.

فالواجب هو إضافة النعم إلىٰ الله -جل وعلا-، وعلىٰ الإنسان أن يُعَوِّد نفسه علىٰ ذلك، فإذا حصل له خير، قال: هذا بفضل الله، هذا بمعونة الله، هذا بتوفيق من الله -جل وعلا-، لولا الله ما حصل لنا ذلك، كم علَّم النبي ﷺ الصحابة ذلك، كان يحفر الخندق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو يقول: «**وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا**

---

(١) البخاري(٣٤٦٤)، ومسلم(٢٩٦٤ -١٠-).

صَلَّيْنَا»[١]، لولا الله ما حصل لنا هذا، لولا الله ما انتصرنا، لولا الله ما جاءنا هذا الرزق، لولا الله ما حصل لنا هذا الشفاء، ولا سيما إذا كان إضافة ذلك إلىٰ أسباب خفية غير ظاهرة، فإنه لا يجوز إضافة ذلك إلىٰ غير الله بل يكون من الشرك، كمن يضيف ذلك إلىٰ أسباب غير معلومة، لولا الولي الفلاني أو لولا جاه فلان أو نحو ذلك من الأمور، فإضافة النعم إلىٰ الله -جل وعلا- هو الذي يجب علىٰ المسلم، وأما إضافتها إلىٰ غير الله سبحانه وتعالىٰ فهذا ينافي التوحيد، قد ينافي أصل التوحيد ويوقع في الشرك الأكبر، وقد ينافي كماله الواجب.

أيضاً من الأمور التي تنافي التوحيد وهي تتعلق بالألفاظ:

تعظيم غير الله -جل وعلا- بالأسماء التي لا تكون إلا لله، هناك أوصاف وأسماء قد يطلقها بعض الناس علىٰ مخلوقين، علىٰ بعض الملوك أو الرؤساء أو الكبراء وهي مما لا يكون إلا لله سبحانه، جاء في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ** -بمعنىٰ أوضع اسم وأحقر اسم عند الله -جل وعلا-، **رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ**»[٢]، وجاء في رواية لمسلم(٢١٤٣ -٢١-): «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ، وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ ؛ لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ**»، قال أهل العلم: ومثل ذلك: (حاكم الحُكّام)، و(سلطان السلاطين)، و(قاضي القضاة)، ونحو ذلك من الأسماء التي لا تكون إلا لله -جل وعلا-.

---

(١) رواه البخاري(٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٣ -١٢٥-).

(٢) البخاري(٦٢٠٦)، ومسلم(٢١٤٣ -٢٠-).

فتعظيم المخلوق بذلك نهىٰ عنه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل قد يوقع هذا في الغلو والتعظيم لهذا المخلوق بما لا يكون إلا لله، حتىٰ بلغ الحال ببعض الناس أنه كما يسمي بعض الملوك بهذه الأسماء قد ينحني له بالركوع أو السجود كما ينحني لله، أو يعظِّمُه كما يعظم الله -جل وعلا- وهذا ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، وعدّ أهل العلم ذلك من الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، فالواجب ألا يُعَظَّم المخلوقون مهما كانوا ملوكًا رؤساء علماء كبراء بالألفاظ التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، أيضاً من الأمور التي تنافي توحيد الله -جل وعلا-:

الاعتراض علىٰ قضاء الله -جل وعلا- بكلمة لو، فَقَدَرُ الله تعالىٰ من أفعاله، وأفعالُه -جل وعلا- من ربوبيته، ولا يجوز للإنسان أن يعترض علىٰ أفعال الله التي هي من خصائص ربوبيته -جل وعلا-، بل الواجب أن يُسَلِّم لقدر الله وأن يستجيب لذلك، ولذا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حذَّرنا من ذلك وأخبرنا أن ذلك يفتح عمل الشيطان، جاء في صحيح مسلم(٢٦٦٤ -٣٤-) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ** -بعد أن تبذل الأسباب، بعد الحرص علىٰ ما ينفع والاستعانة بالله وعدم العجز، بعد هذه الأمور إن أصابك شيء مما تكره ومما لا تريد- **فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**».

كم من إنسان تنزل به مصيبة؟ يحصل له بلاء فيلوم نفسه: لو أني فعلت هذا الشيء لو أني اتخذت هذا الشيء، ويَضَلُّ كذلك فيأتيه الندم وتأتيه الحسرة ويدخل عليه الشيطان، قد يعترض علىٰ قضاء الله -جل وعلا- ولماذا الله قدَّر عليَّ ذلك، فيفتح عمل الشيطان يبدأ من هنا عمل الشيطان، يتسلط عليه الشيطان بمثل هذه الوساوس، فإن أصابك شيء ردَّ الأمر إلىٰ الله -جل وعلا- لأنك لا تملك شيئاً بعد الوقوع، ابذل

السبب قبل أن يقع الشيء فإذا وقع فليس لك إلا أن ترد الأمر إلىٰ الله، سواء كان في موت أو في مرض أو في مصيبة تنزل بك أو في بلاء يحصل عليك رد الأمر إلىٰ الله سبحانه، اجتهد قبل أن يقع في بذل السبب بما تستطيع من الأسباب الشرعية فإن لم يقدر الله تعالىٰ ذلك الأمر وقدر خلافه فاعلم أن لله الحكمة البالغة ولا تعترض علىٰ قضاء الله وقدره بعد ذلك بـ (لو) التي تفتح عمل الشيطان.

انظر ماذا قال الله عن المنافقين خرج الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والصحابة إلىٰ أُحد ومعهم أناس من المنافقين فرجع ثلث الجيش رجع نحو ثلاث مئة رجل مع عبد الله ابن أبي ابن سلول، مصيبة عظيمة علىٰ المسلمين، فخرجوا وقاتلوا المشركين وقُتل سبعون من خيار الصحابة، قال المنافقون كما ذكر الله عنهم يُندِّمون المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ [سورة آل عمران:١٦٨]، انظر كيف اعترضوا علىٰ أمر الله ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ أي في عدم الخروج إلىٰ أُحد ﴿مَا قُتِلُواْۗ﴾ تنديماً للمؤمنين وتحسيراً لهم، وهكذا لما كان المنافقون في بعض الغزوات واشتد الحال بالمسلمين قال بعض المنافقين: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤]، لو كان لنا من الأمر شيء لرجعنا بيوتنا ولما حضرنا هذا الموضع مع محمد وأصحابه، قال الله لهم: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤]، لخرجوا من بيوتهم إلىٰ المضاجع التي يقتلون فيها، يذمهم الله علىٰ هذا الاعتراض علىٰ أمره وعلىٰ قدره سبحانه وتعالىٰ.

فيا أيها المسلم لو أصابك شيء من البلاء من المصائب من المكروه لا تُندِّم نفسك ولا تجعلها تتحسر ولا تفتح باب الشيطان بـ(لو)، بل سلِّم لأمر الله وارضَ بقضاء الله فهذا هو الواجب عليك.

أيضاً مما ينافي التوحيد:

ألا يجزم الإنسان في دعائه لله تعالىٰ، بل يعلق ذلك بالمشيئة، كأنه يعتقد أن الله تعالىٰ له مكره أو أن الله تعالىٰ يَعظُم عليه بعض الأمور، ولذا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حذرنا من ذلك كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ**». وفي رواية: «**فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**»[1].

بعض الناس إذا دعا لا يجزم بدعائه بل يُعلِّق ذلك بالمشيئة كما مثَّل في الحديث (اللهم اغفر لي إن شئت)، (اللهم ارحمني إن شئت)، ومثله ما يجري علىٰ ألسن الناس اليوم كثيراً، يقول أحدهم للآخر: (جزاك الله خيراً إن شاء)، أو (حفظك الله إن شاء الله)، وهذه (إن شاء الله) في الدعاء منهي عنها، فـ(إن شاء الله) تكون في الأمور التي تُخبر بها خبراً أو في الأمور التي تَعِدُ بها وعداً ونحو ذلك، أما الدعاء والسؤال لله فلماذا تُقَيِّدُه بمشيئة الله؟ هل لله مُكرِه حتىٰ تقيد ذلك بمشيئته؟.

فإن هذا كما قال أهل العلم **يوهم** أن تعالىٰ له مُكره، كأنك تكرهه إن شئت فأعطني وإن لم تشاء فلا، **يوهم** أيضاً أن الله تعالىٰ تَعظُم عليه بعض الأمور، يسأل الله شيئاً ثم

---

(١) البخاري(٧٤٧٧)، ومسلم(٢٦٧٩ -٨-).

يقول: (إن شئت) كأن هذا الأمر كبير أو عظيم بالنسبة لله، ومعلوم أن كل أمر يسير علىٰ الله -جل وعلا-، يوهم أيضاً أن هذا الداعي ليس عنده رغبة فيما عند الله ولكن يعلق بالمشيئة كأنه مستغنٍ عن الله وعن عطاء الله وعن فضل الله ولذا يقول: (إن شئت فأعطني) وإن لم تشاء فكأنه يقول: (لا حاجة لي به)، وهو وإن لم يُرِدْ ذلك ولم يكن هذا في نيته، لكن هذا اللفظ يوهم هذه المحاذير ولذا نهىٰ عنه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإذا دعوت الله فاجزم في الدعاء، إذا دعوت الله عَظِّم الرغبة فيما عند الله -جل وعلا- أظهر الفقر والحاجة لما عند الله سبحانه، لا تكن كأنك مستغنٍ عن الله وكأنه لا حاجة بك إلىٰ عطاء الله سبحانه وتعالىٰ.

أيوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في صحيح البخاري(٣٣٩١) قال عنه نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ** -أي جماعة وطائفة من الجراد، رجل الجراد أي مجموعة منها التي تطير سوياً-، **فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَىٰ؟ قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لَا غِنَىٰ لِي عَنْ بَرَكَتِكَ**». لا غنىٰ بي عن فضلك وبركتك وما عندك، فالمؤمن فقير إلىٰ الله -جل وعلا- محتاج إليه، ففي دعائه يُظهِر فقره وحاجته وعدم استغنائه عن الله سبحانه وتعالىٰ، فإذا دعوت لنفسك أو دعوت لغيرك من الناس فلا تعلِّق ذلك بالمشيئة التي توهم ما سبق من المحاذير.

فنسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا علىٰ القوم الكافرين.

اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين. اللهم أذل الشرك والمشركين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ ومن أعانهم علىٰ المسلمين. اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك يا قوي يا متين.

اللهم اجعل بأسهم بينهم. اللهم سلط بعضهم علىٰ بعض. اللهم اكفِ المسلمين شرهم بما شئت يا رب العالمين.

اللهم إنهم قد طغوا وبغوا واعتدوا علىٰ عبادك فأُخذهُم أخذ عزيز مقتدر. اللهم اخذهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين. اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان. اللهم اجعل لهم فرجًا ومخرجًا مما نزل بهم يا رب العالمين.

اللهم إنهم مغلوبون فانتصر لهم. اللهم إنهم مغلوبون فانتصر لهم.

اللهم انتصر لهم أنت نعم المولىٰ ونعم النصير.

اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

٢٦ / ربيع الآخر/ ١٤٤٥هجرية

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع